الشيخ القطب أحمد بن يوسف(1) الراشيدي(2) الملياني(3)

اعداد العربي هلالي فبراير2024

يعد محمد بن محمد بن علي القلعي (الصباغ) أول من ترجم للقطب الشيخ أحمد بن يوسف في كتابه « بستان الأزهار في مناقب زمزم الأبرار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار»(4). ولقد ألفه بعد وفاة الشيخ أحمد بن يوسف بحوالي 28 سنة فقط، إضافة الى أنه عاصره وعرفه شخصيا. ويعد «البستان» المصدر الاساس الأول للتعريف بسيدي أحمد بن يوسف، ولقد أخذ منه جميع من أتى بعده من المستعربين والعرب ومن أواخرهم نذكر محمد حاج صادق، الذي اقتبس منه واستشهد به كثيرا في كتابه القيم «مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف»(5)، وقد اجتهد في التحليل والاستنتاج فأجاد. ولقد أشار في كتابه هذا، نقلا عن كتاب «البستان» (صفحة 120)، أن أحمد بن يوسف كان يتمنى «ان يجعله الله كالأرض يمشي عليها المسلم والكافر والمطيع والعاصي». وذكر أيضا أنه ورد في «البستان» (صفحة 329) أن أحمد بن يوسف قال: «أعلم أن الحق لا يخفى إلا على من عميت بصيرته وخسرت سريرته واضمحلت أخلاقه»، إلى غير ذلك من حكمه وتوجيهاته القيمة التي وردت في «البستان» وفي كتاب «مليانة» نقلا عن «البستان»، وفي غيرهما.
وخلاصة وكما ذكر صاحب كتاب «مليانة» في الصفحتين 95 و96 إن : «سلطة الشيخ احمد بن يوسف كانت سلطة قوية ولا سيما على مريديه، وكان يمدهم بالذكر المفروض في الطريقة الشاذلية-الزروقية، ولم تذكر له طريقة خاصة به في حياته، وبعد وفاته أسس ستة من تلامذته المخلصين في الجهة الجنوبية الشرقية للمملكة المغربية فروعا للطريقة الشاذلية-الزروقية-اليوسفية تحت اسماء مختلفة : الناصرية،

الغازية، السهلية، البوشيخية،الكرزازية- الموسوية والزيانية- القندوسية».
ورد في كتاب الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى(6) أنه: « كانت تظهر على يد الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي الملياني الكرامات وأنواع الانفعالات، فبعد صيته وكثر أتباعه ومريدوه،(7) فغلوا في محبته وأفرطوا فيها حتى وصفوه بأوصاف تبرء منها الشيخ أحمد بن يوسف نفسه وقال: "من قال عنا ما لم نقله يبتليه الله بالعلة والقلة والموت على غير الملة " ، وقال عنه العالم الولي محمد العربي بن يوسف الفاسي الفهري في مخطوطه «مرآة المحاسن» إن الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي كان من كبار مشايخ العلم والولاية وعموم البركات والهداية وكان كثير التلقين للعامة حتى أن الشيخ العالم الولي محمد الخروبي (8) خاطبه بكونه أهان الحكمة بتلقينه للعامة، حتى النساء، فأجابه الشيخ أحمد بن يوسف، بما معناه، أننا قد دعونا الخلق الى الله فأبوا، وقنعنا منهم بأن تشغل جارحة من جوارحهم بذكر الله، فقال العالم الشيخ الخروبي: "فوجدنا أحمد بن يوسف أوسع منا دائرة".
وورد في كتاب نزهة الأخبار في الصفحتين 129 و130(9) : «وفي فجيج أولاد الشيخ يوسف وجدهم هو مولاي عبد الرحمن بن ابراهيم بن عبد الله بن الشيخ يوسف (10) بن علي بن وعلان بن عبد الله الشريف بن عبد الحميد بن أمامة بن مناصر بن الشيخ عيسى بن القطب عبد الرحمن الوتدغيري (الودغيري) إبن علي المكنى يعلى بن اسحاق المكنى عبد العلى بن أحمد بن محمد بن ادريس بن ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه».
وتناول دلمرتنيير ومن معه في مذكرات الشمال الغربي لإفريقيا (11) بتفصيل وتدقيق انتشار الأشراف اليوسفيين الملينيين حفدة الشيخ الخلادي(12) بن يحيى بن مومن بن محمد المدعو بن مرزوقة (13) بن الشيخ الإمام أحمد المدعو بن يوسف.
وتوفي الشيخ أحمد بن يوسف في العاشر من رمضان في «العامرة» الواقعة على بعد 16 كلم شمال غرب عين الدفلى بالقطر الجزائري،

ودفن في مليانة في نفس اليوم سنة 934 ﻫ/1527 م عن عمر يناهز 90 سنة رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

الخلاصة

من خلال دراسة بعض المصادر والمراجع المخطوطة والمطبوعة و الوثائق العائلية والظهائر السلطانية العلوية وكذلك الروايات الشفوية المتواترة، والتي لها علاقة بموضوع الدراسة والتي تمت الإشارة الى بعضها أعلاه، أمكن التوصل الى جمع حلقات عمود نسب الأشراف اليوسفيين المليانيين الودغيرين الأدارسة، انطلاقا من فرعين أساسيين توفرت لدينا عنهما معلومات كافية (إلى الوقت الحاضر وهو بداية 2024).

- الفرع الأول ينطلق من الشيخ الأكبر الناسك الأبر المجاهد محمد البشير المليانى اليوسفي الودغيري الإدريسي بن علي بن الشيخ الزروقي، القادم من أحواز تلمسان الى قبيلة زكارة بالمكان المسمى "تينزي"، إقليم وجدة، جهة الشرق، المملكة المغربية. وانتقل بعدها، رحمه الله، ليجاهد على رأس المقاومين ضد التغلغل الاستعماري الفرنسي، انطلاقا من احواز مدينة « دبدو»، حيث كان مقره الأول، ثم بعد ذلك، مع تغلغل المستعمر الفرنسي في التراب المغربي من الجهة الشرقية، إلى نواحي مدينة تازة. ولما بلغ من الكبر عتيا، واستتباب الأمر للفرنسيين، استقر على قمة جبل يسمى «القلب»، على الجهة الغربية لواد "مسون"، قبالة المكان المسمى سيدي بلقاسم التابع حاليا لجماعة مزكيتام اقليم كُرسيف بالجهة الشرقية حيث استقر عابدا، ناسكا، الى ان التحق بربه الأعلى حوالي سنة 1918 م. ودفن في مقبرة سيدي بلقاسم المقابلة للجبل على الضفة الشرقية لواد "مسون". وهو محمد البشير بن علي بن الشيخ الزروقي ابن الشيخ الخلادي، وخلف وراءه في احواز« دبدو» ولدين بارين(14) نهجا طوال حياتهما سيرة الوالد وهما محمد العربي ومحمد الهاشمي وانتشرت ذريتهما في المنطقة وخارجها.

- اما الفرع الثاني فيبتدئ من الشيخ محمد القادم من أحواز تلمسان إلى قصر تيوت بدائرة عين الصفراء «القطر الجزائري» وأسس الزاوية اليوسفية به وخلف 10 أبناء ومنهم الشاب الطموح سيدي مولاي الذي تم تكليفه بالاتصالات الخارجية، مما أهله عندما تأسس مركز عين الصفراء في نهاية القرن 19م أن يكون على رأس دائرة عين الصفراء كقائد القياد (باشا اغا) إلى أن توفي رحمه الله. وهو سيدي مولاي بن محمد بن محمد بن الشيخ الميلود بن الشيخ الخلادي.
وخلاصة الخلاصة فإن الشيخ محمد بن محمد والشيخ محمد البشير بن علي يلتقيان في جدهما الشيخ الخلادي بن يحيى بن مومن بن محمد بن مرزوقة ابن القطب أحمد بن يوسف، جد اليوسفيين المليانيين، بن محمد بن احمد بن عبد الله بن يوسف بن مولاي عبد الرحمن بن ابراهيم بن يوسف بن عبد الله بن يوسف (دفين فجيج) بن علي بن وعلان بن عبد الله الشريف بن عبد الحميد بن أمامة بن مناصر بن الشيخ عيسى (دفين بني ونيف) بن القطب المجاهد عبد الرحمن الوتدغيري (الودغيري) (دفين غرناطة) بن يعلى بن عبد العلى بن احمد بن محمد بن ادريس بن ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي كرم الله وجهه وفاطمة الزهراء بنت سيدنا محمد ﷺ.
وتجدر الإشارة الى ان دراسة العناصر المكونة للعمود الرئيس لسلسلة الاشراف اليوسفيين المليانيين الودغيرين الأدارسة أظهرت بوضوح احتمال صحة تسلسلها ومطابقة عناصرها ومكوناتها مع ما يحتمل قبوله والموافقة عليه من المتخصصين النسابين في الفضاء الجغرافي العربي(15).
وتجدر الإشارة أيضا الى أن فرقة الاشراف العزوزيين الودغيريين الأدارسة تجتمع فروعها المنتشرة بالمغرب العربي انتشارا واسعا، مع اليوسفيين المليانيين في مولاي يوسف بن عبد الله ابن الشيخ يوسف (دفين فجيج) بن علي بن وعلان بن عبد الله الشريف بن عبد الحميد بن أمامة بن مناصر ابن الشيخ عيسى بن القطب عبد الرحمن الودغيري(16) ، أما اولاد الاعلام المنتشرين في منطقة زواوة بالمغرب الأوسط، فينتسبون الى صالح بن عبد الله بن الشيخ يوسف بن علي بن وعلان بن عبد الله الشريف (17).

الهوامش

1- تيمنا بنسبته الى جده الاعلى الشيخ يوسف بن علي بن وعلان بن عبد الله الشريف.
2- نسبة الى قلعة بني راشد، انظر التفاصيل في موسوعة الاسلام، ط.2 ج.4.
3- نسبة الى مدينة مليانة بالقطر الجزائري، والتي دفن فيها الشيخ احمد بن يوسف وبني على قبره ضريح شامخ والى جانبه مسجد كبير تحيط بساحته الواسعة غرف مخصصة لإقامة الزوار والمريدين، وذلك بأمر من داي وهران محمد الكبير العثماني ومن ماله الخاص.
4- وهو ابن تلميذ ومريد مخلص للشيخ احمد بن يوسف، ولقد الف كتاب «البستان» ما بين سنة959 ه/1545م و962ه/1555م، وتوجد بالمكتبة الوطنية بالرباط نسختان من ملخص «البستان» معنونة «مناقب ابي العباس احمد بن يوسف المليانى» تحت رقم 1427 و 1471 وطبع «البستان» سنة 1345ه / 1926 م بمطبعة «جول كربونيل» بالجزائر العاصمة.
5- ديوان المطبوعات الجزائرية، الساحة المركزية بن عكنون الجزائر العاصمة.
6- احمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار المغرب الاقصى، ج.5 ص.50-51 ،دار الكتاب الدار البيضاء سنة 1950 م.
7- انتشرت الطريقة اليوسفية الشاذلية الزروقية انتشارا واسعا في المغربين الاقصى والاوسط، شمالا، جنوبا، غربا وشرقا. واكتسبت نفودا روحيا عميقا بعيدا كل البعد عن النفوذ السياسي، الا ما كانت له صله بالجهاد في سبيل الله كما كان عليه الحال في علاقته وحفدته من بعده مع الاخوان بربروس القراصنة العثمانيين في غرب البحر المتوسط ضد الاسبان الكاتليك الذين كانوا يمارسون انواع التنكيل والتعذيب على الباقية الباقية من ذوي الاصول المسلمة المورسكية في الاندلس. وكان الاخوان البربروسيون يغدقون على الشيخ احمد بن يوسف وعلى اتباعه العطايا والهدايا ولا سيما عندما استولى خير

الدين بربروس على تلمسان التي كانت عاصمة ملك بني زيان، وتطورت هذه العلاقة عندما نزل خير الدين بربروس العثماني بالجزائر العاصمة حيث تم اسناد امارة وفد الحجاج الجزائريين الى محمد بن مرزوقة بن الشيخ احمد بن يوسف، وبقي هذا التشريف والتكريم في خلفه الى ان احتلت فرنسا القطر الجزائري في بداية العقد الثالث من القرن 19 الميلادي.

8- كان مجايلا للشيخ احمد بن يوسف، ويعد الخروبي من اكابر العلم والولاية في المغرب الاوسط.

9- احمد بن محمد بن عبد الله المقاري التلمساني (توفي1041 ه /1630 م) « نزهة الاخبار في تعريف نسب آل بيت النبي المختار» ص.129 ط.1. 1349 ه /1930 م، المطبعة الجديدة فاس. وكان المؤلف ينتقل بين تلمسان وفاس ومراكش حينما كان يؤلف هذا الكتاب.

10- يوجد ضريحه على الضفة اليسرى لواد ززفانة بفجيج وبجانبه مقبرة قديمة وكذلك اطلال قصر سيدي يوسف بن علي.

11 :Documents nord-ouest africain de la Martinière et 11-N.Lacroix tome 1 pages 441- 449 Alger A.1897

12- الشيخ الخلادي بن يحيى عاش في القناطر من احواز تلمسان وتوفي بها في نهاية القرن 18 الميلادي وخلف ستة اولاد: الزروقي الذي انتقل من تلمسان الى قبيلة زكازه واستقر بها في نهاية القرن 18 الميلادي وانتشرت ذريته في جهات مختلفة من المملكة المغربية، الميلود ولقد انتقل حفيده محمد بن محمد بن الميلود الى قصر «تيوت» احواز العين الصفراء، واستقر بقية ابنائه: الزناقي، الصافي، اويس ويحيى في القناطر بأحواز تلمسان وانتشرت ذريتهم في المغرب الاوسط.

13- نسبة الى جده من أمه عائشة بنت قادة بن مرزوقة.

14- أمهما الشريفة اليوسفية المليانية فاطمة بنت الشيخ محمد بن محمد بن الشيخ الميلود ابن الشيخ الخلادي.

15- د. عماد بن محمد العتيقي، دليل انشاء وتحقيق سلاسل الانساب، 2001 ط.1، بالكويت.

16-الدر النثير في من صح واشتهر نسبه من شرفاء الوداغير، مراجعة وتحقيق م. العربي هلالي، ص.170-174، ط.2 بتاريخ 2015 ،مطبعة فضالة.
17- المرجع نفسه